الفصل الثالث

الموت فى مفهوم علماء الدين

ويـرى علمـاء الدين أن القـرآن الكريم قد تضمـن بعض الآيات البينـات فى الموت، كما وردت فى هذا الشأن أحاديث لرسول الله ﷺ.

ومما تشير إليه هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

– أنه إذا انقضى أجل العبد ونفد رزقه فى الدنيا، أمر الله عز وجل ملك الموت بقبض روحه فيتوفاه، فقبض الأرواح لا يكون إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى – وهذا تفسير قول الله جل وعلا:

﴿.. ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..﴿٤٢﴾﴾ [سورة الزمر].

– أن لملـك المـوت أعوانا كثيرين مـن الملائكة يعملون معه ويأتمـرون بأمره – وفى هـذا الخصوص روى ابن عباس رضى الله عنهما فى خبر الإسـراء عن الرسـول – ﷺ – أنه قال:

(.. مررت على رجل آخر جالس على كرسي، إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه، وبيـده لـوح مكتوب ينظر فيـه لا يلتفت عنه يمينًا ولا شمالا، فقلـت يا جبريل من هذا؟ قـال: هذا ملك المـوت. فقلت يا ملك كيف تقدر على قبض جميـع أرواح من فى الأرض برها وبحرها؟ قال: ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتى وجميع الخلائق بين عينى، ويداى تبلغان المشرق والمغرب. فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه، فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض، وغدوا يعالجون نزع روحه، فإذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك فلم يخف على شيء من أمره، مددت يدى فانزعه من جسده..) القرطبى، التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة – ص ٧٢.

ومما تقدم يتبين لنا أن قبض الروح يكون أولا بواسـطة الملائكة أعوان ملك الموت حتى تبلغ الحلقوم، وهذا تفسير قوله **سبحانه وتعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿..حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ..﴿٦١﴾﴾ [سورة الأنعام].

ثم ينزع ملك الموت الروح من الجسد عندما تبلغ الحلقوم، ثم يسلمها إلى أعوانه من الملائكة، إما للملائكة الرحمة إن كان الميت مؤمنًا بالله، أو للملائكة العذاب إن كان من الكفار. (ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١ ص ٥٦).

أنه إذا انقضى أجل العبد المؤمن بالله وجاءته سكرة الموت بالحق، جاءه الشيطان ليفتنه ويخرجه عن عقيدته وإيمانه بوحدانية الله وأحديته - وكان الرسول - ﷺ - يتعوذ من فتنة الموت فيقول:

(اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من عذاب القبر) أخرجه البخارى فى صحيحه جـ ٤.

فإن كان العبد مزعزع الإيمان ونكص على عقيبه وكفر بالله ووحدانيته كان من أصحاب الشقاء فى الآخرة أما إن كان حسن العمل صادق الإيمان ثبته الله العليم الخبير على دينه لقوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم].

يذهب كثير من علماء الدين إلى أنه فيما يتعلق باستقبال الميت عند الاحتضار - فإن ملك الموت يأتيه ومعه أربعة من الملائكة **ولكنه لا يرى ملك الموت لأنه لا يظهر للمحتضر ويعترضون بحق على أن اسم ملك الموت "عزرائيل" كما هو شائع** فمن الثابت أنه لم يرد بالقرآن الكريم ولا بالأحاديث النبوية الشريفة هذا الاسم فأسماء الملائكة التى وردت فيها لا تتعدى جبريل وميكائيل وإسرافيل، ومالك خازن النار. **وقد جاء النص القرآنى خاليًا من ذكر الاسم فى قوله سبحانه وتعالى:**

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ .. قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ .. ﴿١١﴾ ﴾ [سورة السجدة].

يقول الإمام الغزالى فى كتابه الدرة الفاخرة، إن جبريل هو الذى يستقبل أرواح المؤمنين، فإذا أراد الله بعبده الهداية جاء ملك الرحمة - وقيل هو جبريل - فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه، فيبتسم الميت لا محالة. وكثير من يرى مبتسمًا فى هذا المقام فرحًا بالبشير الذى جاءه رحمه من الله سبحانه وتعالى - فيقول يا فلان أما تعرفنى؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين. مت على الملة الحنيفة والشريعة الجليلة، فما شىء

أحب إلى الإنسان وأفرح له منه بذلك الملك. أما الملائكة الأربعة فإنهم ينزلون على المحتضر ويجلسون قريبًا منه.. ويشاهدهم عيانًا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط - وهو نوع من الطيب - إما من الجنة وإما من النار. ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر. وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بإشارته وتارة بقلبه إن لم يستطع النطق أو الإشارة ويؤيد ذلك قول المولى عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ.. ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الواقعة].

والمقصود بالريحان أنه ما تتلقى به الملائكة عند الموت.. وذلك ما قاله ابن القيم فى كتابه "الروح" وطبقًا لما رواه من قول رسول الله - ﷺ :

(.. إن المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة. أما من كان فى قبل من الدنيا ودبر من الآخرة نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من النار وخيوط من نار..).

ومن بين المستقبلين للميت كذلك عمله فى الحياة الدنيا الذى يتمثل له فى هيئة رجل.. فقد روى عن الرسول - ﷺ :

(.. إن الميت يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب. طيب الريح فيقول له: أبشر. فيقول له: من أنت فيقول: أنا عملك الصالح. فإذا كان عمله سيئًا أتاه رجل قبيح المنظر كريه الرائحة. ففعل الإنسان يبدو له فى صورة واحد من مستقبليه..) القرطبى فى التذكرة.

ويستقبل الميت كذلك من أهله وأقاربه الذين انتقلوا قبله، وقد أكد الإمام الغزالى هذا المعنى فى كتابه الدرة الفاخرة، وذلك بقوله:

"ومن الناس من إذا بلغت الحلقوم كشف له عن أهله السابقين. وأحدق به جيرانه من الموتى". وقد يستفاد هذا المعنى أيضًا بوضوح ما رواه ابن القيم فى الروح ص ٢٩ عن حديث الرسول - ﷺ :

(.. إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا. فيقول انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان فى كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان.. فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال: إنه قد مات قبلى. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية..).

فأهـل الرحمة هؤلاء منهم الملائكـة ومنهم الأهل والأصدقاء. بدليل اهتمامهم بشئون الأحياء وسؤالهم عنهم، فمن مات ولم يصل إليهم كان بعيدًا عن الزمرة الصالحة.

ثم يستقبل الميت بعد ذلك ملكاه اللذين كانا يكتبان أعماله فى سؤال القبر.

أما فيما يتعلق بقبض الروح

ففى هذا الخصوص يروى لنا ابن عباس رضى الله عنهما حديث طويل للرسـول ﷺ إذ قال:

(.. والـذى نفـس محمد بيده ما من نفـس تفارق الدنيا حتى تـرى مقعدها من الجنة أو النـار. فإذا كان عند ذلـك صف له سماطان - أى صفان - من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين - أى ما بين أفق المشرق والمغرب - كأن وجوههم الشمس. فينظر إليهم ما يرى غيرهم. وإن كنتم ترون أنه ينظر إليكم. ومع كل ملك منهم أكفان وحنوط. فإن كان مؤمنًا بشروه بالجنة. وقالوا أخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى رضوان الله وجنته فقد أعد الله لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها. فلا يزالون يبشـرونه فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بولدها. ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل. يموت الأول فالأول. ويبرد كل عضو الأول فالأول، ويهون عليه وإن كنتم ترونه شـديدًا حتى تبلغ ذقنه. فلهى أشـد كراهيـة للخروج من الجسـد من الولد حين يخرج من الرحـم. فيبتدرونها كل ملك منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك.. فيتلقاها بأكفان بيض ثم يحتضنها إليه فلهو أشـد لزومًا من المرأة لولدها. ثم يفوح منها ريح أطيب من المسـك فيستنشـقون ريحًا طيبًا ويتباشـرون بها ويقولون مرحبًا بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صلى عليه روحًا وصلى على جسـد خرجت منه....الخ..). أخرجه مسلم جـ ١.

وروى سليمان الفارسى رضى الله عنه قول رسول الله ﷺ:

(.. ارقبوا للميت عند موته ثلاثًا. إن رشـح جبينه. وذرفت عيناه. وانتشـر منخراه. فهى رحمة من الله قد نزلت به) رواه ابن بريده - سنن ابن ماجة جـ ١.

كما قال ﷺ: (.. المؤمن يموت بعرق الجبين) ابن بريدة - سنن ابن ماجة جـ ١.

ويقول الإمام الغزالى فى "الدرة الفاخرة"..

(.. فإذا دنت منية العبد. وهى الموتة الدنيوية. فحينئذ ينزل عليه فريق من الملائكة، وهم الذين أتوا لاسـتقباله. ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى. وملك يجذبها من قدمه

اليسري، وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى.. ولا يزالون يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع حتى تنسل انسلال القطرة من السقاء إن كان مؤمنًا أما الكافر فتنسل روحه كالسفود من الصوف المبلول") – والسفود بتشديد وفتح السين وتشديد وضم الفاء – هو عود من حديد ينظم فيه اللحم ليشوى.

وعلى ذلك إذا كان عمل الميت طيبًا صالحًا في الحياة الدنيا، أتته الملائكة في هيئة حسنة، ليقرؤوه السلام من رب العباد، وليجذبوا روحه في سهولة ويسر، ويحادثونها بكلام جميل رقيق، مبشرين إياها بالرجوع إلى ربها راضية مرضية وبروح وريحان وجنة نعيم لرضا الرب سبحانه وتعالى عنها... كل ذلك والمحتضر يسمع ويدرك ما يقال سعيد بتلك البشارة.. فإذا بلغت الروح الحلقوم أخذها ملك الموت لتكفن ويصعد بها إلى السماء – وسبحانه من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى.. ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الفجر].

سم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة فصلت].

أما إذا كان العبد قد عاش حتى واتته المنية وهو منغمس في ملذاته وشهوات وخطاياه، ناسيًا واجباته نحو بارئه مستحلاً أموال وأعراض وحياة العباد بارتكابه الفواحش والآثام من سرقة وزنا وقتل وهو لاه عن ذكر الرحمن ويوم التناد، فذلك ميتته غير تلك التي يلقاها الصالحون فهو وأمثاله يأتيهم ملائكة ذميمو الوجوه كريهو الرائحة فيبشرون المتحضر بأسوأ ما يبشر به الإنسان، ويقولون لروحه اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، وابشري بالحميم والفساق، اخرجي ذميمة مقبوحة إلى غضب من الله وسخط. ويأتي ملك الموت فيجلس عند رأس المحتضر، فإذا بلغت الحلقوم تنزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، ويخرج منها رائحة كريهة كأنتن جيفة وجدت على الأرض.

ويدرك العبد حال الموت ما يدور حوله حتى يعاين الملائكة وتغرغر روحه، وفي حال إدراكه لما يدور حوله فإن توبته تكون مقبولة طبقًا لما قاله الرسول – ﷺ:

(.. إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر..) - ابن ماجة جـ ٢ ص ١٤٢٠.

فإذا بدأت الغرغرة لم تقبل توبة البعد وفى هذا يقول الله عز وجل فى محكم آياته:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ..﴿١٨﴾﴾ [سورة النساء].

هذا ومتى بلغت الروح الحلقوم فإنها تكون قد وصلت إلى آخر مرحلة من مراحل الموت، فعند هذه المرحلة يستحيل إعادة الروح إلى الجسد لقوله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ..﴿٨٧﴾﴾ [سورة الواقعة].

ولا يبـق إلا أن يقبضها الملك لتخرج من الجسـد نهائيًـا، وهو ما تكرهه النفس الكافرة وتأباه بعد أن أيقنت بحقيقة مآلها، فتقاومه بكل ما أوتيت من قوة، ولكن لا مرد لأمر الله. وعندئذ لا يقتصر الأمر على دعوة النفس الخبيثة للخروج، ولا حتى نزعها وجذبها، وإنما يصل إلى حد ضربها وفى هذا المعنى يقول العلى القدير:

بسـم الله الرحمن الرحيـم: ﴿.. وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ..﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنفال].

والضرب إنما يكون للنفس، أى للجسد الأثيرى وليس للبدن قبل خروج الروح، على نحو ما ذهب إليه بعض علمائنا كالطبرى والنيسـابورى ومن الحدثيين الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمهم الله جميعًا (نهاية العالم) الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٦٥.

وفيما يتعلق بخروج النفس من الجسـد يذهب أغلـب علماء الدين إلى أن خروج النفس يكون من الرأس، مستندين إلى قول الله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ..﴿٢٧﴾﴾ [سورة القيامة].

والمقصـود بذلـك النفس، أى إذا بلغت النفس عظام الترقوة، وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر. فعندئذ تكون النفس على وشـك مغادرة البـدن فيقول الملائكة لبعضهم ﴿مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ أى من الذى يأخذ الروح أو يصطحبها ليصعد بها ويسمو إلى طبقات السماء.

(يراجع فى هذا المعنى الزمخشرى جـ ٤ ص ٦٦٣ - والطبرى جـ ٢٩ ص ١٣١)

وهو ما يستفاد منه أن النفس تصعد من الجسم إلى عظام الترقوة. ثم تتابع صعودها إلى الحلقوم. حيث يتم نزعها من البدن.

ويروى ابن ماجة وأيضًا مسلم فى صحيحه فى حديث مرفوع أن الرسول - ﷺ - دخل على أبى سلمة وهو يحتضر وقد شخص بصره وانفتحت عيناه. فأغمضها الرسول - ﷺ - ثم قال: (.. إن الروح إذا قبض تبعه البصر).

وفى رواية أخرى قيل (يتبع بصره نفسه) صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٣٥.

ورؤية الشخص نفسه وهى تغادر جسده. دليل على أن الروح "النفس" تغادر الجسم من موضع ما فى الرأس. ويؤكد على هذا أيضًا ورود بعض الأحاديث الشريفة التى تشير إلى جلوس ملك الموت عند رأس المتحضر أثناء موته.

واتجه رأى بعض علماء الدين إلى أن للموت آلامًا لا يعلمها إلا من كابدها وسكرات لا يحس بها إلا من عاناها واتجه رأى آخر إلى وجوب التمييز بين موت المؤمن الصالح وموت الكافر العاصي. مستندين فى صحة ذلك إلى حديث الرسول - ﷺ - المذكور بعاليه من رواية ابن عباس حيث قال:

(.. ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل. يموت الأول فالأول. ويهون عليه وإن كنتم ترونه شديدًا..).

ثم يقول ﷺ فى ذات الحديث عن عطف قابض الروح:

(.. فإن كان مؤمنًا بشروه بالجنة وقالوا: اخرجى أيتها النفس الطيبة.. فلا يزالون يبشرونه فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بوالدها..).

وروى ابن أبى حاتم عن أبى جعفر أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأنصار وهو يحتضر. **فنظر إلى ملك الموت عند رأس الرجل وقال له:**

(.. يا ملك الموت أرفق بصاحبى فإنه مؤمن..).

فقال له ملك الموت: (.. يا محمد طب نفسًا وقر عينًا، فإنى بكل مؤمن رفيق..) رواه ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ١ ص ٥٦.

أما الذين أسرفوا على أنفسهم فى الحياة الدنيا. واتبعوا هوى النفس واستجابوا لملذاتهم وشهواتها بعيدًا عما أمر به الله عز وجل من معروف ونهى به عن منكر ولم يستغفروا أو يتوبوا إليه. فأولئك يموتون ميتة تخالف ميتة المؤمنين. فقد روى عن عبدالله ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

(.. نفس المؤمن تخرج رشحًا. وأن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار..) القرطبى- التذكرة ص ٣١.

وقد ذهب رأى آخر إلى أن الأمر لا ينتهى عند ذلك. إذ قد يشدد الله الموت على عبده المؤمن ليكفر به ذنوبه حتى يرجع إلى الله وقد محيت سيئاته وعلت درجته الإيمانية ومنزلته عند المولى عز وجل. كما أن الكافر قد يموت موتة هينة لينال جزاءه من العذاب.. مستندين فى صحة ذلك إلى ما رواه عبدالله بن عمر عن الرسول ﷺ حيث قال:

(.. وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه. وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها..) القرطبى. التذكرة ص ٣١.

أى إن الله يعاقب المؤمن على سيئاته فى الدنيا ليحبن حسابه فى الآخرة. وأن الله سبحانه وتعالى يثيب الكافر على حسناته فى الدنيا حتى لا ينعم بها فى الآخرة.

هذا وقد اتفق علماء الدين أن ميتة الشهيد فى سبيل الله تختلف عن أى ميتة أخرى لأن الله تبارك وتعالى يرى فى قتال المعتدين على الدين والأرض والمال والعرض من الملحدين والمشركين والكفار فيه عزة ورفعة للإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء ولأنه إذا كان الجهاد فى الإسلام أساسًا يرتكز على مبدأ جهاد النفس وإعمار الأرض تحت ظل مبادئ العدل والإخاء والمساواة فى إطار القضية الإيمانية التى تؤكد على وحدانية الله وأحاديته وما أمر به من معروف ونهى به عن منكر فى شريعة الغراء فإن ذلك يستوجب بالضرورة الحفاظ على الأرض والمال والعرض.. والدفاع عنهم بكل ما يمتلك من نفس ومال.. مستندين فى ذلك إلى قول الله جل وعلا:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ..﴿٢١٦﴾﴾ [سورة البقرة].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ..﴿١٩٠﴾﴾ [سورة البقرة].

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿.. فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا..﴿٧٤﴾﴾ [سورة النساء].

ولقد بين الرسول ﷺ فضل الجهاد فى سبيل الله، ووردت فى ذلك أحاديث كثيرة من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى من أن الرسول ﷺ **قال له:**

(.. يا أبا سعيد من رضى بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، ومحمد نبيًا. وجبت له الجنة..) فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها على يا رسول الله ففعل، **ثم قال** ﷺ:

(.. وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض..). فقال وما هى يا رسول الله؟ قال ﷺ:

(.. الجهاد فى سبيل الله..) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥٠١.

وقد روى أحمد والترمذى حديثًا مرفوعًا للرسول ﷺ - صححه أيضًا ابن ماجة- عن الأجر العظيم للشهداء إذ قال ﷺ:

(.. إن للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له عند أول دفعة من دمه، ويرى مقعده فى الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويجار من عذاب القبر ومن الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، والياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين إنسانًا من أقاربه..) ابن كثير البداية والنهاية مجلد ٨ جـ١٦ ص ٤٥٧.

كما يتفق علماء الدين أن الشهداء يجدون فى انتقالهم من الحياة الدنيا للحياة الآخرة متعة لما يصاحب هذا الانتقال من نعيم وسرور، حتى إن الشهيد ليتمنى أن يعود للحياة مرة أخرى ليموت من جديد، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد أن الشهيد لا يشعر بألم عند مفارقة الروح للبدن، وإن صح أنه شعر بآلام بدنية لما قد يكون قد لحقه من جروح وإصابات قبل الانتقال لا تقاس على الإطلاق بما لحق ذلك من متعة بعد الانتقال وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ:

(.. ما من عبد يموت له عند الله خير، يسره أن يرجع إلى الدنيا، ولو أن له الدنيا وما فيها، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسر أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى..) البخارى جـ ٤ ص ٢٠.

ومن فضل الشهادة أن الله يكفر بها الذنوب إلا حقوق العباد فعن أبى قتادة أن رجلاً قام فقال لرسول الله ﷺ، أرأيت إن قُتلتُ فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ فقال له رسول الله ﷺ:

(.. نعم. إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر..).

ثم قال رسول الله ﷺ: (.. كيف قلت؟) قال: أرأيت إنى قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ:

(.. نعم. وأنت صابر ومحتسب، مقبل غير مدبر إلا الدَّين، فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك..) أخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٣ ص١٥٠١.

وفى هذا المعنى أيضًا أنه لما كان يوم خيبر أقبل بعض أصحاب النبى ﷺ فقالوا: فلان شهيد فقال الرسول ﷺ:

(.. كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة..) صحيح مسلم جـ ١ ١٠٧.

والغلول أخذ مال الغير بدون وجه حق.

ويستقبل الشهيد من الملائكة استقبالاً كريمًا فور انتقاله. فقد روى أنه لما قتل والد جابر بن عبدالله رضى الله عنهما يوم أحد جعل جابر يبكى ويكشف الثوب عن وجه أبيه، فنهاه أصحاب النبى ﷺ ولكن الرسول لم ينهه وقال ﷺ:

(.. لا تبكيه، أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع..) البخارى جـ٥ ص ١٣١.

والشهداء خلافًا لغيرهم من الموتى أو القتلى يظلون أحياء بعد قتلهم، إذ تسكن أرواحهم فى أبدان مادية، وصفها الرسول ﷺ بأنها جوف طير أخضر- إذ يقول الله سبحانه وتعالى فى شأنهم:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة آل عمران].

ويروى لنا ابن مسعود أنه سأل الرسول ﷺ فى هذه الآية فقال ﷺ:

(.. أرواحهم فى جوف طير أخضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى هذه القناديل..) أخرجه مسلم فى صيحه جـ ٣ ص ١٥٠٢ وابن ماجة جـ ٢ ص ٩٣٦.

كما يتفق علماء الدين على أن من يطلب الشهادة بصدق ويسعى لها فإنه يبلغ مراتب الشهداء وإن مات على فراشه مستندين فى صحة ذلك إلى ما روى عن الرسول ﷺ قوله:

(.. من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه..) أخرجه مسلم فى صحيحه.

كما يتفقون على أن الشـهادة ليسـت قاصرة على من يقتلون فى سبيل الله، بل يدخل ضمن الشهداء فئات أخرى مستندين فى ذلك إلى قول الرسول ﷺ :

(.. الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد فى سبيل الله..) البخارى جـ ٤ ص ٢٩. مسلم جـ٣ ص ١٥٢.

كما قال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع قول رسول الله ﷺ :

(.. من قتل دون ماله فهو شهيد..) أخرجه البخارى فى صحيحه. كما روى لنا سعيد بن زيد رضى الله عنه أنه سمع قول رسول الله ﷺ :

(.. من قتل دون ماله فهو شـهيد. ومن قتل دون دمه فهو شـهيد. ومن قتل دون دينه فهو شـهيد. ومن قتل دون أهله فهو شـهيد..) صححه الترمذى – وأخرجه البخارى فى صحيحه جـ ٣ ص ١٧٩.

كما يتفق علماء الدين أن هناك علامات تظهر على المحتضر وقت احتضاره قد يستدل منها أنه قد فاز برضوان الله عز وجل **ومن هذه العلامات:**

(أ) نطق المحتضر بالشهادة عند الاحتضار استنادًا إلى ما روى عن الرسول ﷺ أنه قال:

(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه القرطبى فى التذكرة.

وإلى ما أوصى به الرسول ﷺ من ضرورة تلقين المحتضر الشهادة **حيث قال:**

(.. لقنوا موتاكم لا إله إلا الله..... الحليم الكريم. سبحان رب العرش العظيم. الحمد لله رب العالمين) قالوا يا رسـول الله كيف للأحياء؟ قـال: (أجود وأجود) رواه ابن ماجة جـ١ ص ٤٦٥ وأخرجه مسلم فى صحيحه جـ ٢ ص ١٩١٦.

(ب) الموت بعرق الجبين استنادًا إلى قوله ﷺ (المؤمن يموت بعرق الجبين) رواه ابن بريدة – سنن ابن ماجة جـ ١ ص ٤٦٧.

(جـ) الاستشهاد فى سبيل الله لقوله جلا وعلا:

بسـم الله الرحمـن الرحيـم: ﴿..وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ..﴿٥﴾﴾ [سورة محمد].

ويدخل فى ذلك من هم فى حكم الشهيد كما أسلفنا من قبل.

(حـ) حسن الظن بالله عز وجل طبقًا لوصية الرسول ﷺ حيث قال:

(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) رواه ابن ماجة جـ١ ص ٤٦٧.

كما روى لنا أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسـول ﷺ دخل على شـاب وهو فى المـوت فقـال ﷺ (كيف تجدك؟) قال: أرجـو الله وأخاف ذنوبي. فقال الرسـول ﷺ :

(لا يجتمعـــان فى قلب عبد فـــى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمنه مما يخاف) رواه ابن ماجة جـ١ ص ٤٦٧ وأخرجه الترمذى.

(د) أن تبدو علامات البشـــر والســـرور على وجه المحتضر مما يستشـــف منه حســـن الاستقبال.

(هـ) أن يشهد المسلمون له بحسن الخلق استنادًا لقوله ﷺ :

(أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة. فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة فقلنا واثنان قال: واثنان ثم لم نسأل عن الواحد) صحيح البخارى جـ ٢ ص ١٢١.

ولقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا: (أنتم شهداء الله فى الأرض) ابن ماجة ص ٤٧٨.

(و) العمل الصالح قبل الموت من الدلائل على حسن الخاتمة.

فقد روى الترمذى وأحمد عن أنس رضى الله عنه قول الرسول ﷺ :

(.. إذا أراد الله بعبد خيرًا اســـتعمله..") قيل: كيف يســـتعمله يا رســـول الله؟ قال: (يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه..).